الحق والباطل في نهج البلاغة

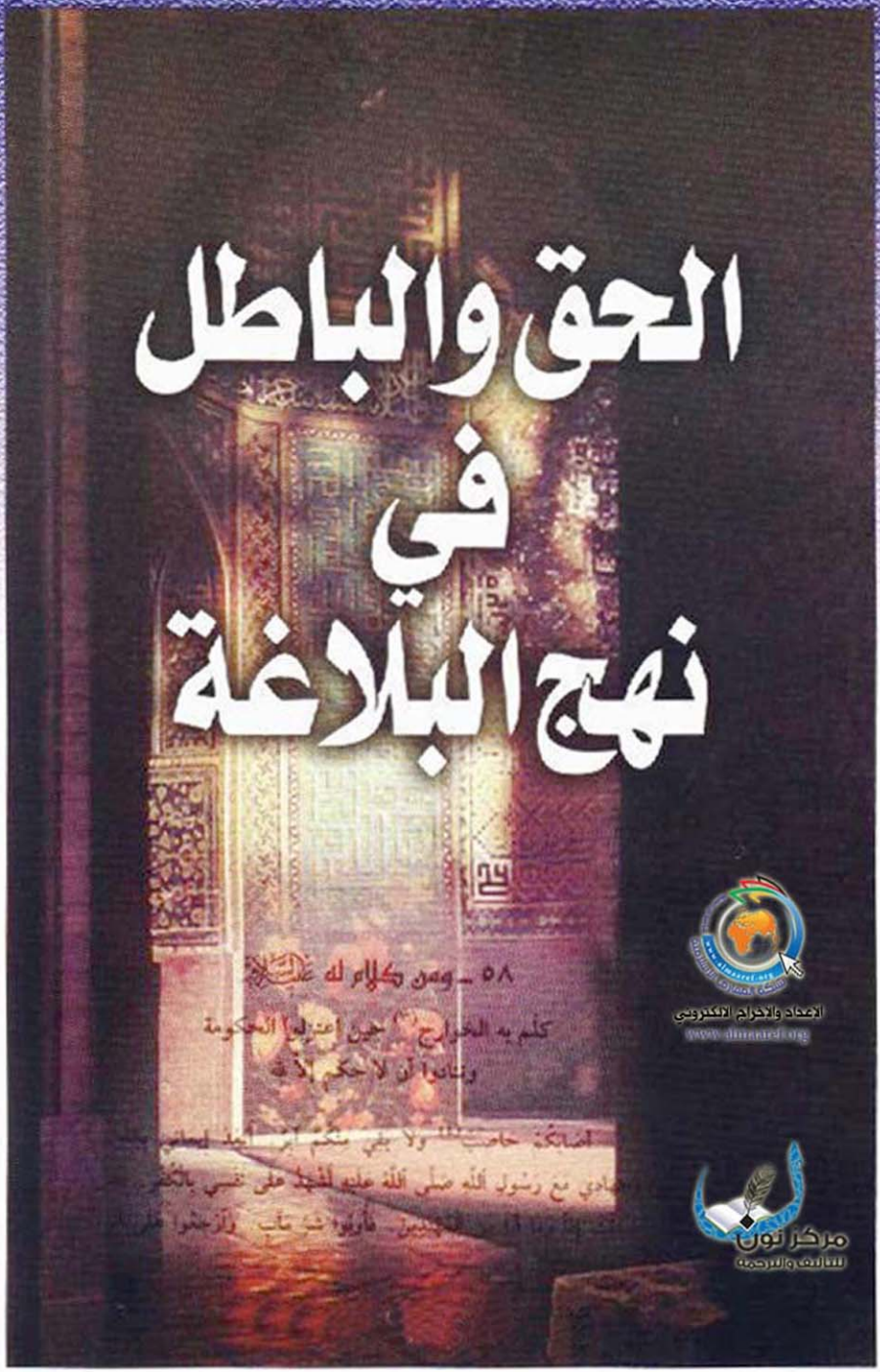

الإعداد والإخراج الإلكتروني
www.dimared.org
مركز نون للتأليف والترجمة

الحق والباطل في نهج البلاغة

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
بيروت . لبنان . المعمورة . الشارع العام
هاتف: ٠١/٤٧١٠٧٠ ـ ص.ب. ٥٣/٢٤ . ٣٢٧/٢٥
ص . ب. ١٣٥/٢٤ . ٣٢٧/٢٥

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: الحق والباطل في نهج البلاغة

إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة

نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية

الطبعة الأولى ٢٠٠١م - ١٤٢٢هـ

الحق والباطل
في
نهج البلاغة

مركز نون للتأليف والترجمة
الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق، وأعزِّ المرسلين، سيدنا محمد وآله الطاهرين.

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها...﴾.

سورة ابراهيم الآية ٢٤

إن أكثر ما تنطبق عليه هذه الآية من الكلم الطيب بعد القرآن نهج البلاغة إذ هو الكلم الطيب الصادر من نبع الطيب والطهارة...

فهو الكتاب الذي يضم مما بقي من خطب ورسائل وحكم أمير المؤمنين عليه السلام رغم منع المانعين المتسلطين لرواية أي شيء عنه عليه السلام أو في حقه... فهو ثابت لم تزله عداوة الأعداء وتصرفات المغرضين.

وهو الكتاب الذي يخرج من دنيا معاناة الإمام علي عليه السلام وتجربته ومن حكمة صدره ليسمو فوق الكتب والكلمات ويرسل أريج وعبق زهره في سماء البلاغة والفصاحة والفكر الإنساني والعرفان... الخ.

وهو الكتاب الذي كلما جد في الزمان جديد رأيت الناس أحوج إلى

إلى وروده ليرشدهم من ضياع ويهديهم من ضلال ويؤنسهم من وحشة ويبرد غليلهم من صدى.

إن الوارد الى نهج البلاغة انما يرد الى بحر لامس حدود اللانهاية فهو لا يرجع عن مائدة الكرم العلوي خالي الوفاض فارغ الجعبة ولكن أيضاً يعود عنه بما استطاع أن يعب منه وأنىّ لوعاء ان يتسع للبحر الخضم.

وإذ تضع جمعية المعارف بين يدي عشاق نهج البلاغة وأميرها هذا البحث ترجو الله أن يوفقها للمزيد من امثال هذا البحث القيم وتعد بالعمل على ذلك ما أمكنت الفرص.

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

مركز نون للتأليف والترجمة

نظرة عامة على نهج البلاغة

معرفة «نهج البلاغة»

يضم كتاب «نهج البلاغة» القيّم والفريد مجموعة من خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكلماته النيرة التي دوّنها وأعدها بطريقة فنية رائعة العلامة الشريف الرضي (رضوان الله تعالى عليه) في ثلاثة أبواب على النحو الآتي:

- الباب الأول - يضم الخطب التي ألقاها الإمام عليه السلام، وهي في «نهج البلاغة» ٢٣٩ خطبة.

- الباب الثاني - الرسائل التي بعثها الإمام عليه السلام الى الأصدقاء والأعداء والقادة العسكريين والولاة وسائر مسؤولي الدولة. وتسمى الكُتب أيضاً، ومجموعها في هذا الكتاب ٧٩ رسالة.

- الباب الثالث - ويحوي الكلمات القصار أو العبارات الرائعة المليئة بالحِكَم والتي اشتهرت باسم «قصار الحكم» أيضاً، وهي (٤٨٠) كلمة.

وهو قد ألقى معظم هذه الخطب والكلمات القصار (أي الحِكَم) وما بعث به من الرسائل إبّان فترة توليه الحكم والخلافة. وهي تتعلق بالشؤون السياسية والاجتماعية والعسكرية المهمة للدولة الإسلامية.

لذا فإن البحث فيها ودراستها يؤديان دوراً حساساً في تقرير مصير المجتمعات الإسلامية.

في الأزمنة الغابرة كانوا يسمون الأحاديث القيّمة والرائعة التي تلقى على الناس بـ«الخُطَب» وكانوا يسمون المتحدث المقتدر «خطيباً»، فقد كانت الخطابة لوناً من ألوان الفن والقدرة العقلية والعلمية والسياسية التي يتمتع بها الخطيب. وفي كتاب «نهج البلاغة» وردت الخطب تحت عنوان (باب الخطب) أو (باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام) ويمكننا أن نحصر فترة إلقاء خطب الإمام عليه السلام بالمراحل الآتية:

أ ـ الفترة التي سبقت خلافته وتوليه الحكم.

ب ـ فترة معركة الخلافة.

جـ ـ خلال فترة حكمه التي دامت خمسة أعوام.

إن حِكَم الإمام يعود ايرادها الى هذه المراحل الثلاث أيضاً، أما الرسائل الواردة في «نهج البلاغة» فهي تختص بفترة حُكْم الإمام عليه السلام التي دامت خمسة أعوام، وهي تحتوي على أساليب الحكم والادارة في الإسلام.

اسم «نهج البلاغة» الجميل:

لا شك أن مواضيع «نهج البلاغة» القّيمة والثمنية يستحيل حصرها بعصر معين وزمن خاص ولا يمكن وضعها في اطار بعض العناوين والفهارس المعروفة، لأن خطب الإمام عليه السلام ورسائله وكثيراً من كلماته الحكيمة القيت في فترة حُكم هذا الرجل التاريخي العظيم، وأثناء

تجسد المجتمع الإسلامي عملياً. لذا فما دام الإنسان باقياً وما دامت الحياة الإجتماعية قائمة، فان «نهج البلاغة» سيبقى حياً وخالداً، وسيظل يقدم الحلول الأساس النيّرة لينقذ البشرية من كل اشكال الضلال والضياع ومع أن الشريف الرضي (رحمة الله عليه) أسمى مجموع الخطب والرسائل والكلمات الحكيمة القصار للإمام باسم «نهج البلاغة» فان استعراضاً قصيراً للمعارف السامية الكامنة فيه يدلنا على أن هذا المصنف يمكن وصفه باسماء قيّمة أخرى أيضاً مثل:

نهج السعادة، نهج الفصاحة، نهج الخطابة. نهج السياسة. نهج الحياة، نهج الحكومة، نهج الفلاح، نهج السلامة.

لقد نظر مؤلف «نهج البلاغة» الشريف الرضي الى أحاديث الإمام من ناحية الفن البلاغي، وانطلاقاً من هذه النظرة انبرى لجمع كلمات الإمام النيرة، وبامكان سائر الباحثين ملاحظة جوانبها الأخرى وعرف كل الأبعاد القيّمة لأحاديث الإمام عليه السلام واستخراجها. لكي يلبوا بذلك كل حاجات المجتمع العملية والفكرية والسياسية والعقائدية.

وقد ذكر الإمام علي عليه السلام، انطلاقاً من الحاجات الرئيسية للمجتمع الإسلامي، وحاجات الناس المادية والمعنوية، حقائق كثيرة لا ترتبط بعصر معين وزمن خاص، ولا تختص بجيل دون غيره، ولا بمجتمع معين، بل هي قابلة ان ينتفع بها دوماً المجمتعات البشرية، فالباحثون والمحققون المواظبون على السعي قادرون في كل عصر وزمان على العوم والغوص بكل الوسائل والأدوات اللازمة في معارف نهج البلاغة وعلومه، ليلبوا بذلك حاجات المتعطشين الى الحقيقة من بني البشر وقد شهدنا طوال القرون الأربعة عشر الماضية كيف استفاد

كل العلماء والباحثين بمختلف قابلياتهم واختصاصاتهم من الاستضاءة بالأحاديث النيّرة للإمام علي عليه السلام.

كيف حفظت أقوال الإمام عليه السلام ودُوّنت؟:

يسألون: «كيف حفظت أقوال الإمام علي عليه السلام وجمعت ودُوّنت؟».

ويريدون أن يعلموا كيف دوّنوا خطب الإمام علي عليه السلام في تلك الأيام الأولى لبزوغ الإسلام حيث لم يكن ما نشاهده اليوم من الأجهزة الالكترونية المتطورة، ولم تكن هناك اذاعة ولا تلفزيون ولا صحف إخبارية؟ وكيف سجّلوها وضبطوها ونقلوها الى الأجيال التالية؟

وللإجابة عن مثل هذه الأسئلة، لا بد من مراجعة تاريخ الشعوب المدون وتاريخ صدر الإسلام وطرق الحفاظ على المؤلفات الثقافية في الماضي، وأنظمة الاتصالات في العصور التاريخية الغابرة. حيث كان يعتمد في تلك الأزمنة على قوة الذاكرة وتدوين الكتّاب المهرة بدل الأجهزة المتطورة التي نشاهدها اليوم. وبذلك كانوا يحافظون على آثارهم الثقافية بالشكل المطلوب.

وهذه الحقيقة قائمة أيضاً فيما يخص كيفية الحفاظ على القرآن الكريم و«نهج البلاغة» وتدوينهما.

في الفترة التي سبقت حُكم الإمام كان أبناؤه وبعض أصحابه وجماعة من الناس يقومون بتدوين أقواله القيّمة وحفظها والمحافظة عليها. أما في فترة حكم الإمام التي دامت خمسة أعوام فقد برزت لذلك امكانات ووسائل كثيرة إذ:

١ ـ كان ستة آلاف من أصحاب الإمام عليه السلام يعملون دوماً وفي كل

مكان كتلاميذ صف دراسي متناسق في سماع أحاديث الإمام وحفظها ونشرها في أرجاء مجتمع ذلك الزمان[١].

٢ ـ كانت جماعة من «الكتّاب» المقتدرين والمهرة تجلس في كل مكان الى أحاديث الإمام وتدونها مثل الحارث الأعور[٢].

٣ ـ كان عدد من «الحُفّاظ» قد اجتمعوا في تلك الأيام ليعملوا (بدل اجهزة التسجيل والتصوير التي نراها اليوم) لحفظ أحاديث الإمام حيثما ألقاها ثم نقلها الى المجتمع.

٤ ـ كانت كل رسائل الإمام تحفظ في مركز الخلافة ولدى الولاة والموظفين أيضاً، وحتى الرسائل التي بعثها الامام الى أعدائه من أمثال معاوية وعمرو بن العاص، فان هؤلاء لم يضيعوا مثل هذه الآثار القيّمة بل سعوا من أجل المحافظة عليها.

٥ ـ كتب بعض تلاميذ الإمام عليه السلام، مثل زيد بن وهب وغيره، عدداً من خطب الإمام في عهده وجعلوها على هيئة كتاب نشروه بين الناس تحت عنوان (خطب أمير المؤمنين)، وهذا يعني أن جمع أقوال الإمام وتدوينها جرى على أيدي تلاميذه قبل الشريف الرضي (رحمة الله عليه) بمئات السنين[٣].

وللإمام علي عليه السلام مئات الخطب وعشرات الرسائل وآلاف الحِكم. ومما يبعث على بالغ الأسى والأسف أن جزءاً قليلاً من كل تلك الإرشادات القيّمة قد بلغ جيلنا وعصرنا، وأن الجزء الأعظم من آثار

---

(١) «اتقان المقال» ص١٩٢.

(٢) «رجال ابن داود» ص ٣ - ٧.

(٣) «اتقان المقال» ص١٩٢. «البيان والتبيين» ج١، ص٨٣.

الإمام عليه السلام قد تلف أو فقد في الحروب التي وقعت بين المسلمين أو بمؤامرات المستعمرين، أو بإحراق الكتب على أيدي عملاء الاستعمار، أو بنيران التعصب والتجرؤ لدى بعض الفرق الجاهلة، ونهب المخطوطات الإسلامية، فلم يبق لقلوبنا الحزينة سوى الحسرة والألم على فقدان هذه الثروة الهائلة.

فقد دوّنت في «نهج البلاغة» (٢٣٩) خطبة بينما خطب الإمام وأحاديثه أكثر من ذلك، فقد كتب المؤرخ الشهير المسعودي الذي عاش قبل الشريف الرضي بمائة عام أن الناس حفظوا أكثر من أربعمئة وثمانين خطبة للإمام علي عليه السلام[1].

مشاكل واجهت جمع اقوال الإمام علي عليه السلام:

أول سؤال يتبادر الى ذهن كل باحث هو: إذا كانت أحاديث الإمام علي عليه السلام بهذه العظمة وبهذه القيم السامية، فلماذا لم يفكر المجتمع الإسلامي بتدوينها قبل الشريف الرضي (رحمة الله عليه)؟

ولماذا لم يدرك أي عالم أو باحث هذه الحقيقة طوال أربعمئة عام فيقوم بتحرك بنّاء يستفيد منه عامة الناس؟

ولماذا بقي الناس محرومين طوال أربعة قرون من بركة كتاب كنهج البلاغة؟ فكانوا لا يحصلون على بعض ارشادات الإمام إلا بعد كثير من المشاكل والمتاعب؟

ما هو السبب الرئيس لكل ذلك؟ وأين ينبغي لنا أن نتفحص جذور هذا العجز وهذا النقص؟

---

(١) «مروج الذهب» للمسعودي ج٢٠.

ان دراسة بسيطة للفترة التاريخية الأليمة والدامية التي دامت أربعة قرون بعد شهادة الإمام (أي حتى عام ٤٠٠ للهجرة) توضح الى حد ما الإجابة عن هذه الأسئلة، اذ أن الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام واجهوا في تلك الفترة الأليمة والدامية الكثير من المشاكل والصعاب، فكانوا عاجزين عن عرض آثار الإمام علي عليه السلام بحرية في مجتمع ذلك اليوم، لذلك لجأوا الى طرق مختلفة على النحو الآتي:

١ ـ كان الشيعة يخفون الكتب الروائية والآثار العلوية خوفاً.

٢ ـ كانوا في كثير من الأحيان يدفنون المؤلفات الثقافية تحت تلال من التراب.

٣ ـ كان الشيعة لا يتجرأون على الحديث عن هذه الأمور.

٤ ـ كان كثير من حفّاظ اقوال الإمام عليه السلام ينكرون ذلك.

٥ ـ كان علماء الشيعة يلجأون الى التستر والتخفي لكي يحافظوا على أرواحهم.

واستمرت غربة الشيعة السياسية وهجرة علماء الإسلام المؤلمة وحرمان أتباع الإمام علي عليه السلام من حقوقهم حتى القرن الرابع الهجري، فلم تسنح لعشاق أقوال الإمام وحفّاظها فرصة لنشرها وعرضها على الناس.

أما في القرن الهجري الرابع فقد طرأت تحولات كبيرة على البلدان الإسلامية، فمارس الشيعة وضعاً سياساً جديداً. وامسكوا بالحكم والسلطة فنجحوا في احتلال مواقع مرموقة اتاحت لهم فرصة تدوين «نهج البلاغة».

فلنجاح الشريف الرضي أسباب وعوامل مختلفة تعود كلها الى

التحولات السياسية والثقافية التي ظهرت في القرن الهجري الرابع، فقد ولد الشريف الرضي عام (٣٥٩ هـ) وانتهى تأليف «نهج البلاغة» وتدوينه عام (٤٠٠ هـ)، ولكي نزداد اطلاعاً على تلك الظروف الملائمة، حري بنا أن نسلط مزيداً من الضوء على التحولات المهمة التي طرأت خلال القرن الهجري الرابع، إذ:

١ ـ تغيرت أوضاع الشيعة الاجتماعية والسياسة وتمكنوا من الوقوف على أقدامهم شيئاً فشيئاً.

٢ ـ أمسك علماء الشيعة بزعامة الناس في أعلى صورة ممكنة.

٣ ـ بدأت تحركات واسعة نحو تأسيس الحوزات العلمية.

٤ ـ اجتمع من أرجاء البلدان الإسلامية علماء كثيرون في حوزات الشيعة العلمية، وتولوا مسؤولية تعليم طلاب العلوم الإسلامية.

٥ ـ تحول القرن الرابع الهجري الى قرن تأليف الكتب الإسلامية وترجمتها وتدوينها.

٦ ـ أمسك الشيعة بالحكم في بعض البلدان، وصار لهم في بلدان أخرى حضور فعال ونشط في جهاز الحكم وقيادة المجتمع.

روائع «نهج البلاغة»:

ان احاديث «نهج البلاغة» صادرة من امام معصوم عليه السلام قال:

«... وَإنّا لأُمَراءُ الكَلامِ، وَفِينا تَنَشَّبَت عُروقُهُ، وَعَلَينا تَهدَّلَت غُصونُهُ»[1].

(١) الخطبة ٢٢٣ «نهج البلاغة».

ويقول الشريف الرضي، وهو من علماء القرن الهجري الرابع وأدبائه وفقهائه، وهو جامع أقوال الإمام في كتاب «نهج البلاغة»:

«... علماً بأن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية، ما لا يوجد مجتمعاً في كلام، ولا مجموع الأطراف في كتاب: إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مَشْرَعَ الفصاحة ومَوردَها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها، وعنه أُخِذَت قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سَبَقَ وقصروا، وتقدم وتأخروا»[١].

ومما قاله العالم المسيحي الاستاذ أمين نخلة ان من شاء أن يعالج أمراضه النفسية فليطلع على ما قاله الإمام علي عليه السلام في «نهج البلاغة» ليتعلم تحت أنوار هذا الكتاب القيم كيف يحيا[٢].

وكان أحدهم قد طلب منه أن يختار له من «نهج البلاغة» مئة كلمة من خير ما فيه، فرد عليه قائلاً ما خلاصته: ان ما في «نهج البلاغة» من عظمة الأفكار وسموا الآراء ما يحار معه المرء فيما يأخذ وما يترك، وأنا الذي أعجز حتى عن تفضيل كلمة واحدة على أخرى...[٣].

كما أن أحد علماء أهل السنة، الاستاذ حسين نائل المرصفي، أستاذ البلاغة في كلية دار العلوم بمصر، والأستاذ في الأزهر الشريف، يقول عن «نهج البلاغة» ما خلاصته: «نهج البلاغة» كتاب جعله الله تعالى

---

(١) مقدمة الشريف الرضي.

(٢) «مصادر نهج البلاغة» للسيد عبد الزهراء، ص١٠٠.

(٣) «ما هو نهج البلاغة» للشهرستاني، ص٦٠.

دليلاً ناصعاً على أن الإمام علي (رضي الله عنه) خير شاهد حي على أنه النور القرآني الهادي وحكمته وعلمه وهدايته واعجازه وفصاحته المتجلية في هذا الكتاب السماوي.

ان ما في هذا الكتاب من دلائل الحكمة القيمة. والقوانين السياسية السليمة، والنصائح الواضحة الهادية. والبراهين الناطقة المكينة للإمام علي عليه السلام لهي الدليل القاطع على سمو الفضيلة العصية على التصور، والتي تمتع بها خير امام بحق. مما لم يستطع أن يأتي بنظيره أي من الحكماء العظام والفلاسفة الكبار على مدى الدهر...[١].

(١) المصدر نفسه. ص٦١.

الحق والباطل في نهج البلاغة

تمهيد:

يرغب كل امرىء في معرفة الحق من الباطل والاطلاع على الحقيقة وتطبيقها على نفسه ومجتمعه.

والجميع يودون نصرة الحق، وهم يدعون ذلك أيضاً.

وكل يقول: إن عملي، أو عملنا، ومواقفنا، وأسلوبنا في الحكم، ونمط حياتنا، ونظامنا الفكري والعقائدي، وسلمنا وحربنا، وعلاقاتنا الداخلية والخارجية... كلها على حق!

وكل منا يسعى لاظهار نفسه أنه على حق، وهذه الحالة النفسية من الأساليب والحيل المعروفة عند الانسان التسويفي، اذ يدعي كل من الظالم والمظلوم، والمستعمِر والمستعمَر، والمعتدي والمعتدى عليه، بأنه على حق، ويحاول تبرئة نفسه من الباطل، والباس أعماله بلباس الحقيقة، ويزعم ان الحق معه، وأن له الحق في أن يفعل هذا الشيء أو ذاك.

إذن، ينبغي قبل كل شيء تعريف الحق والباطل ومعرفتهما. وبعد معرفة الحق والباطل، نستطيع أن نميز بين أنصار الحق الحقيقيين ومن يدّعونه كذباً وزوراً، فلا تنطلي علينا أحابيل أهل الباطل. ونميز الحق وقول الحق وسبيل الحق عن الباطل ومن يتبعه.

وهذا النوع من البحوث نافع وضروري جداً لجيل الشباب، وذلك لدفعه نحو «النظرة الواقعية»، و«التفكير الواقعي» لكي يعرف الحق والحقيقة، ويطلع على سبيل النضج والتكامل، فيساهم بنجاح في صنع مستقبل المجتمع الإسلامي.

قال الإمام علي عليه السلام:

«رَحِمَ اللّهُ رَجُلاً رأى حَقّاً فَأعانَ عَلَيه، أو رَأى جَوراً فردَّه، وكانَ عَوناً بالحَقِ على صاحِبِه»[1].

تعريف الحق والباطل:

أ ـ الحق ما كان موجوداً مثل «القوانين المسيطرة على نظام الخلقة و...». والباطل ما ليس موجوداً بل يزعمون حوله مزاعم كاذبة.

ب ـ ان ما هو موجود ولا بد أن يكون وجوداً مثل «العدالة والنظام العام» هو الحق. وان ما هو وجود ويجب ألا يكون له وجود. مثل «الظلم والجور، والانحرافات الخلقية، والاعتداءات البشرية، والمزاعم الكاذبة و...» هو الباطل.

اذن فالتعريف الكامل للحق يكمن في عبارتين:

١ ـ أن يكون له وجود.

٢ ـ ويجب أن يكون له وجود.

إذ لو كان أساس معرفة الحق «وجوده» فحسب، لشمل ذلك كثيراً من مصاديق الباطل الموجودة، ولكننا إذا ربطنا بين العبارتين السابقتين انتفى كل باطل.

---

(١) الخطبة ٢٠٥.

اذن، فالباطل أو غير الحق هو:

أ ـ ان يقال كذباً ان شيئاً ما موجود دون ان يكون له وجود.

ب ـ يجب ان لا يكون موجودا (حتى إن وجد في مكان ما).

ولا بد من التذكير بأن الأساس في الوجوب وعدم الوجوب، قد حدده الله خالق الإنسان وابلغه الى البشرية عن طريق الوحي والقرآن.

قال الإمام علي عليه السلام:

«كِتابُ ربِّكُم فيكم مُبَيناً حَلالَهُ وَحَرامَهُ، وَفرائِضَهُ وَفَضائِلَهُ»[1].

ضرورة معرفة الحق والباطل:

لا بد لبني البشر من ان يعرفوا الحق والباطل من أجل بناء ذواتهم وبلوغ الكمال الحقيقي، لأننا إذا جهلنا القوانين السائدة في الطبيعة، عجزنا عن الاستفادة منها. وقد يؤدي ذلك الى القضاء على سلامتنا وصحتنا.

فإذا لم نعرف، مثلاً، القوانين المسيطرة على جسم الإنسان ولم نميز بين الأطعمة السائغة النافعة، والمواد السامّة الضارة، لم نستطع الاستمرار في الحياة.

ونتيجة لذلك أننا إن لم نعرف ـ في الحياة الفردية والاجتماعية ـ المبادىء والضوابط الأخلاقية، ولم نميز السلوك والتصرف المقبول والحق من غير المقبول والباطل، لم نبلغ سعادة ولا تكاملاً. ولاستحال علينا بناء الذات والمجتمع، إذ أن ضرورة بناء الذات والتكامل ترتبط بضرورة وجود الحقائق الثابتة.

---

(١) الخطبة ١.

الإمام علي عليه السلام، في «نهج البلاغة» ينبه البشرية الى الحقائق الثابتة والمدهشة في النظام الأحسن للخلق. فيتحدث عن:

النظام:

والنظام المتناسق العام.

والنظام المستمر.

وقوانين الحياة الدقيقة.

وتناسق مجموعة نظام الوجود.

والهدفية في خلق المخلوقات.

يشير الى كل ذلك لكي يصف خالق هذا النظام الأحسن كما يعرفه هو. وبعد أن ينتهي من اثبات وجود اللّه. يوجهنا نحو حلال الله وحرامه وحدوده، ويعرّف الحق والباطل والحقائق الخالدة الثابتة دائماً، واحدة بعد أخرى، ويذكّرنا في هذه المسيرة الحكيمة والعالمة بضرورة معرفة الحق وأتباعه، ويدعو البشرية الى نصرة الحق.

امكان معرفة الحق:

بعد أن يعرض الإمام عليه السلام حقائق نظام الوجود الرائعة. ويثبت وجود الخالق، نجده يقول:

«قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبيلَ الحَقِّ، وَأَنارَ طُرُقَهُ. فَشِقْوَةٌ لازِمَةٌ، أَوْ سَعادَةٌ دائِمَةٌ»[1].

ثم يشير الى الهدية التي جاءت بها بعثة رسول الله ﷺ ويدلنا على

(١) الخطبة ١٥٧.

أن كل جهود بني الإسلام انصبّت على تعريف الحق وفضح الباطل، فيقول:

«... وَخَلَّفَ فِينا رايَةَ الحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَها، مَرَق، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْها زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَها لَحِقَ»[1].

وبعد ذلك يشير الى المواقف التي اتخذها هو فيقول:

«... وَأَقَمْتُ لَكُمْ عَلى سُنَنِ الحَقِّ في جَوادِّ المَضَلَّةِ حَيْثُ تَلْتَقُون وَلا دَلِيل»[2].

إذا ما طالعنا ما ورد في «نهج البلاغة» عن الحق والباطل توصلنا الى النتائج الآتية:

١ ـ ان الحق والحقائق الثابتة والخالدة لها وجود، ويمكن معرفتها.

٢ ـ ان تكامل الفرد والمجتمع، من حيث الأبعاد المادية والمعنوية يكون في اتباع الحق والحقيقة.

٣ ـ ان التمرد على الحق يؤدي بالفرد والمجتمع الى الإنحراف والفساد والسقوط.

٤ ـ يتحمل كل انسان واجباً ومسؤولية في معرفة الحق والباطل.

ولما كان للحق وللحقائق وجود ووجب بلوغ النضج والسعادة بالنظرة الواقعية، فان الإمام علي عليه السلام يرشدنا بالقول:

«لا يُؤْنِسَنَّكَ إلاّ الحَقُّ، ولاَ يُوحِشَنَّكَ إلاّ الباطِلُ»[3].

ونظراً للمشاكل التي ترافق (النظرة الواقعية) و(اتباع الحق) فانه

---

(١) الخطبة ١٠٠.
(٢) الخطبة ٤.
(٣) الخطبة ١٣٠.

يشجعنا جميعاً على الصبر والتحمل، لكي نسير دوماً على طريق الحق، ولا تجرنا المشاكل الى الباطل، يقول عليه السلام:

«... **وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ، وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ**»[1].

نتيجة لذلك يمكننا حصر ضرورة معرفة الحق والحقائق في الحالات التالية:

١ ـ معرفة الحق والباطل من أجل بناء الذات.

٢ ـ معرفة الحق والباطل من أجل بناء الإنسان.

٣ ـ معرفة الحق والباطل من أجل بناء المجتمعات البشرية.

٤ ـ معرفة الحق والباطل من أجل بلوغ النضج والسعادة المعنوية.

٥ ـ معرفة الحق والباطل من أجل سلامة جسم الإنسان ونفسه.

٦ ـ معرفة الحق والباطل من أجل سيادة القيم الأخلاقية الصحيحة.

٧ ـ معرفة الحق والباطل من أجل معرفة مبادىء الجهاد التحرري ضد الحكومات السلطوية.

٨ ـ معرفة الحق والباطل من أجل القضاء على الجهل.

إن الحق والحقيقة يعنيان ما يجب، ويعنيان القيم التكاملية.

الواقعية تعني القوانين السائدة في المنظومة الشمسية وفي الطبيعة، وفي المجتمع، وفي العالم، وفي نظام الخلق.

والحق يعني القوانين والمبادىء التكاملية السائدة في نظام الوجود.

---

(١) الرسالة ٣١.

ولدى خالق الكائنات القدير الحي القيوم، والحق والحقيقة هما اللذان يتجسدان في الأحكام الإلهية، والقيم الأخلاقية، والعلاقات الإنسانية الصحيحة، والحدود والضوابط، وحكومة العدل الإلهي. لذا فمن الضروري معرفتهما واتباعهما، إذ إن اهمال الحق والتغاضي عنه تعقبه عواقب وخيمة لا تعوّض خسائرها.

إذن، فنحن قادرون على رؤية الحق ومشاهدة مصاديق الحقيقة في كل مكان وفي كل شيء، ثم تطبيق ذلك على أنفسنا وعلى حياتنا الفردية والاجتماعية، والسير دوماً على طريق التكامل، إذ يقول الإمام عليه السلام:

«... ظَهَرَ لِلعُقُولِ بِما أَرانا مِنْ عَلامَاتِ التَدبِيرِ المُتْقَنِ وَالقَضاءِ المُبرَمِ»[1].

كيف نواجه الحق؟

بعد الاعتراف بوجود الحق والباطل ومعرفة تأثير كل منهما في تقرير مصير الفرد والمجتمع، علينا الآن أن نفكر جيداً: كيف يجب أن نكون أمام الحق والباطل؟

وعلى أي أساس نتخذ مواقفنا لكي نبلغ النضج والتكامل الحقيقي؟

ان الاجابة الصحيحة والشافية عن هذه الأسئلة يطرحها «نهج البلاغة» ضمن المواضيع الآتية:

١ ـ **ضرورة الوعي:** ترتبط درجة نضج الفرد والمجتمع وتكاملهما

---

(١) الخطبة ١٨٢.

ارتباطاً كاملاً بدرجة وعيهما ومعرفتهما الحق والباطل والحقائق، فالصحة النفسية والأخلاقية للفرد والمجتمع شأنها شأن الصحة والسلامة الجسدية فهي ترتبط مباشرة بمعرفة عوامل الصحة وسبل مكافحة الأمراض المختلفة.

اذن، ينبغي قبل كل شيء التوصل الى المعرفة والوعي اللازم.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«وكَفى بالمَرءِ جَهْلاً أَلاّ يَعرِفَ قَدرَهُ»[١].

٢ ـ التزام الحق: بعد معرفة الحق من الباطل واكتساب الوعي اللازم، علينا التزام الحق والحقيقة والابتعاد عن الباطل. ان التزام الحق يعني السعي اليه والعمل به وعدم الخوف من أية مشاكل تقف على هذا الطريق.

قال الإمام عليه السلام:

«أَفْضَلُ النّاسِ عِندَ اللّهِ من كانَ العَمَلُ بالحَقِّ أَحَبَّ إلَيهِ وَإنْ نَقَصَهُ وكَرَثَه، مِنَ الباطِلِ وَإنْ جَرَّ إلَيهِ فائِدَةً وَزادَهُ»[٢].

وفي عبارة أخرى يعلمنا أن الحق والحقيقة يجب ان يتخذا أساساً لعمل الانسان لكي ينال السعادة، فهو عليه السلام يقول:

«... وَلْيَكُن أَحَبُّ الأُمُورِ إلَيكَ أَوْسَطُها في الحَقِّ وَأَعَمُّها في العَدلِ»[٣].

٣ ـ العمل: لا يكفي، في نظر «نهج البلاغة» معرفة الحق والحقيقة والميل اليهما، بل يجب أيضاً السعي للعمل بالواقع وتحقيقه وتطبيق الحق، والامتناع عن رفع الشعارات فقط.

(١) الخطبة ١٦. (٢) الخطبة ١٢٥. (٣) الخطبة ٥٣.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«... وَاللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِن إِمْرَتِكُم، إِلاَّ أَنْ أُقِيمَ حَقّاً أَو أَدفَعَ بَاطِلاً»[1].

٤ ـ مقارعة الباطل: بعد معرفة الباطل، يجب العمل من أجل مكافحته والقضاء عليه واستئصال جذوره لكي يمهد السبيل أمام تحقيق الحق ويتسع المجال لتحقق النضج والتكامل. يقول الإمام علي عليه السلام:

«وَأَيمُ اللهِ لأَبقُرَنَّ الباطِلَ حَتّى أُخرِجَ الحَقَّ مِن خاصِرَتِهِ»[2].

٥ ـ الانصياع للحق والحقيقة: بعد معرفة الحق والحقيقة، لا بد من التزامهما وتحقيقهما، ويجب عدم رفع لواء معارضة الحق والحقيقة، أو مناوءة القوانين السائدة في نظام الخلق، يقول الامام علي عليه السلام:

«مَنْ أبدى صَفْحَتَهُ لِلحَقِّ هَلَكَ»[3].

بعد ذلك يشير الى زوال القيم وانهيارها لدى الأمم السالفة فيقول عليه السلام:

«... فَإِنَما أَهلَكَ مَن كانَ قَبلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنعُوا النَاسَ الحَقَّ فاشتَرَوهُ، وَأَخَذُوهُم بالباطِلِ فَافْتَدَوهُ»[4].

٦ ـ التحرك ضمن حدود الحق: بعد معرفة الحقائق والانصياع للحق، علينا ادراك حقيقة أساس مفادها أن الحركة التكاملية لا تتحقق إلا ضمن حدود الحق وفي إطاره، ولن تكون نتيجة أي صراع مع

---

(١) الخطبة ٣٣.
(٢) الخطبة ١٠٤.
(٣) الخطبة ١٦.
(٤) الرسالة ٧٩.

الحق، أو تقدم عليه، أو تجاوزه إلاّ الهلاك والتعاسة. لذا لا بد من معرفة حدود الحق والحقيقة، واحترامها. يقول الإمام علي عليه السلام:

«مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضاقَ مَذهَبُهُ»[١].

٧ ـ **محاربة انصار الباطل:** مثلما كان علينا القضاء على الباطل، ومكافحة المفاسد، علينا أيضاً محاربة انصار الباطل ومكافحتهم، لكي لا يتمكنوا من طرح الباطل من جديد، واشاعة الأفكار الباطلة، يقول الإمام علي عليه السلام:

«... وَلَعَمري ما عَلَيَّ مِن قِتالِ مَن خالَفَ الحَقَّ وَخابَطَ الغَيَّ مِن إدهانٍ وَلا إيهانٍ»[٢].

٨ ـ **معرفة مُثُلُ الحق الكاملة:** بعد معرفة الحق والباطل، فإن لمعرفة مثل الحق الكاملة آثاراً تربوية كثيرة، لأن الناس بحاجة الى المثال الكامل الحق في عملية بناء الذات واصلاح السلوك الفردي والاجتماعي، اذ باطاعته واتباعه يبلغ السعادة وينجو من الانحراف.

والامام علي عليه السلام يصف بهذا الشأن نبي الإسلام والأئمة الحقيقيين بأنهم مُثل الحق الكاملة، فيقول:

«... أَرسَلَهُ داعِياً إلى الحَقِّ وشاهِداً عَلَى الخلق»[٣].

ويقول عن أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله:

«وَبَينَكُم عِترَةُ نَبيكُم وَهُم أَزِمَّةُ الحَقِّ وَأَعلامُ الدِّين»[٤].

وبذلك لن يواجه البشر مشكلة في السير على طريق التكامل ومحاربة الباطل والزيف، اذ ان الحق والحقيقة قائمان، ومعرفتهما أمر

---

(١) الرسالة ٣١.
(٢) الخطبة ٢٤.
(٣) الخطبة ١١٦.
(٤) الخطبة ٨٧.

ممكن، كما أن مثل الحق الكاملة تدلنا دوماً على الفضائل وتحذرنا من الرذائل، وتدل البشرية على سبيل اتباع الحق ومقارعة الباطل. يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن:

«الذَّليلُ عندي عَزيزٌ حَتّى آخُذَ الحَقَّ لَهُ، وَالقَويُّ عندي ضَعيفٌ حَتى آخُذَ الحَقَّ مِنه»[1].

سبل معرفة الحق والباطل:

قلنا ان الحق والحقائق الثابتة امور موجودة ويمكن تعرفها ومشاهدة مصاديقها من اصغرها حتى أكبرها وتطبيق أنفسنا عليها. ويجب ألا نقبل على السلبيات والمواقف الباطلة الكاذبة، وان معرفة الحق والحقيقة أمر ممكن. وهنا أسئلة تبرز بهذا الشأن على النحو الآتي:

- لماذا إذاً يعجز الكثيرون عن معرفة الحق؟
- لماذا يخطىء أنصار الحق أحياناً في الوصول الى الحقيقة، ولا تثمر مساعيهم؟
- لماذا يختلف الناس حول معرفة الحق؟
- واذا كانت معرفة الحق أمراً ممكناً، فلماذا ينبغي بذل كل هذه الجهود والمشاق؟ كالذين يتوصلون أحياناً، بعد سنين طوال، الى أن الفرضية أو النظرية الفلانية باطلة ولا حقيقة لها؟

إن الإجابة الصحيحة والشافية عن هذه الأسئلة نصل اليها من دراسة قضيتين أساسيين هما:

---

(١) الخطبة ٣٧.

أولاً: سبل معرفة الحق والباطل، وكيفية التعرف على الحقيقة.

ثانيا: معرفة الموانع التي تحول دون ادراك الحقائق، والتي تجب ازالتها عن طريق البحث.

فلو ادرك الإنسان السبل الصحيحة والمقاييس الضرورية لمعرفة الحق والباطل، وفهم الحقائق فهماً صحيحاً. وقام بدراستها وتقويمها، واجتث من قلبه ونفسه جذور موانع معرفة الحقيقة، وأزال العقبات الخارجية التي تقف في طريق بحثه ومعرفته. لما كان ثمة شك في أنه سيشاهد وجه الحقيقة الناصع ولا يعود يدخل ميادين النزاع والجدل والمعارضة في ذلك مع سائر بني البشر، ويخلص البشرية، بالوحدة والتعاون، من كل أنواع الاعوجاج والانحراف الفكري. يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن:

«**أيها الناسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّريقَ الواضحَ وَرَدَ الماءَ، وَمَنْ خالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ**»[1].

ولكيفية تعرف الحقيقة والاجابة عن الأسئلة المذكورة، علينا الاهتمام اهتماماً كاملاً بعدد من القضايا الأساس، مثل:

١ ـ ضرورة السعي والعمل المستمر:

قال الإمام علي عليه السلام:

«... **وَلا يُدرَكُ الحَقُّ إلاّ بالجدِّ**» فكثير من الناس يرغبون في بلوغ الحق، ولكن دون سعي أو جهد، لكنهم لا ينجحون.

---

(١) الخطبة ٢٠١.

٢ ـ ضرورة الصبر والثبات وتحمل المشاكل في سبيل بلوغ الحق:

ان البحث عن الحق لتعرفه ترافقه بعض المشاكل، وحين نعرف الحق ونريد عرضه وتعريفه للناس تواجهنا مشاكل كثيرة أخرى. وإذا وقفت في الجهة المعارضة للحق ثقافة الباطل والحكومات الباطلة والسلطات الطاغوتية، فسوف نغرق في بحر من المشاكل. ويرى «نهج البلاغة» وجوب تحمل مشاكل البحث وصعابه، بل وحتى تحمل التعذيب والنفي والهجرة من أجل ابلاغ صوت الحق، والقيام بالدفاع والجهاد وتقبل الأسر والسجن، بل واستقبال الشهادة في سبيل الحق.

ومن البديهي أن يقل انصار الحق في مثل هذه الأحوال وتصعب نصرة الحق. وهناك من الناس من يعجزون عن معرفة الحق بغير عناء ومشقة، لذا نراهم يصطبغون بلون ثقافة الباطل. يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن:

«... وَاعلَموا رَحِمَكُمُ اللّهُ أَنَّكُم في زَمانٍ القائلُ فيه بالحَقِّ قَليلٌ، وَاللسانُ عَنِ الصدقِ كَليلٌ، وَاللازِمُ لِلْحَقِّ ذَليلٌ»[1].

ولهذا السبب نجد أن كثيراً من علماء الشرق ومفكريه، الذين توصلوا الى الحق من خلال بحوثهم العلمية. لا يجرأون على اعلانه وعرضه على الناس، لأنهم لا يودون ان يسجنهم الحكام الاشتراكيون أو تبلى أجسامهم في معسكرات الأعمال الشاقة.

كما أن الباحثين الغربيين قد فهموا، في عصر الابتذال والفساد والأمراض النفسية، بطلان القيم الغربية، وادركوا الحقيقة من خلال دراستهم، لكنهم لا يجرأون على ابلاغها للناس.

---

(١) الخطبة ٢٣٣.

من الفوارق الرئيسة بين المصلحين المفكرين من البشر العاديين، وأنبياء الله وأوليائه والأحرار من الناس، أن الأنبياء وتلاميذ الرسالة الإسلامية وعلماء الدين الواعين وقفوا كل ما يملكون لمعرفة الحق وسيادته، ولم يخشوا في ذلك لومة لائم، وانما عشقوا الشهادة فحملوا أرواحهم على الأكف من أجل بلوغ الحق وتعريفه. يقول الإما علي عليه السلام في وصيته لولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن ضرورة تحمل المشاكل والصعاب:

«... وَخُضِ الغَمَراتِ لِلحَقِّ حَيثُ كَانَ، وَتَفَقَّه في الدِّين، وَعَوِّد نَفسَكَ التَّصَبُّرَ على المَكرُوهِ، وَنِعمَ الخُلْقُ التَّصَبُّرُ في الحَقِّ»[1].

٣ ـ ضرورة البحث والتنقيب:

ان الحق والحقيقة لا يظهران من تلقاء نفسيهما في كل زمان ومكان وفي مختلف الظروف والأحوال، بل ينبغي التوصل إليهما بالبحث والتنقيب وبالطرق الخاصة لمعرفتهما، وعدم ابعاد دلائلهما الأصيلة عن النظر، بل بلوغهما بالسعي المستمر، لكي نشاهد بأم أعيننا الوجه الحقيقي للحقيقة.

وتزداد أهمية هذا السعي بشكل خاص حين يلبس الباطل لبوس الحق ويصطف الى جانبه، وحين تطرح صنوف الباطل عند التحولات السياسية وفي الحكومات الطاغوتية والتسلط الاجنبي باسم الحق والحقيقة وفي لبوسهما وعلى هيئتيهما، يقول الإمام علي عليه السلام بهذا الشأن:

«وَلَيسَتْ عَلَى الحَقِّ سِماتٌ تُعرَفُ بِها ضُرُوبُ الصِّدقِ مِنَ الكَذِبِ»[2].

(١) الكتاب ٣١. (٢) الكتاب ٥٣.

٤ ـ استخدام العقل وقوة التفكير:

بعد الاحساس بالحقيقة وادراكها ومشاهدتها متمثلة في: النظام العام، والهدفية في خلق المخلوقات، والقوانين التكاملية الدائمة والشاملة، وتناسق كل أجزاء النظام، يأتي دور الاستخدام الصحيح للعقل والفكر، فقد قال الإمام عليه السلام:

«... وَلَوْ فكَّرُوا في عَظِيمِ القُدرَةِ، وَجَسيمِ النِّعمَةِ، لَرَجَعُوا الى الطَّرِيقِ»[1].

ويقول عن دور العقل في تشخيص الحق والباطل:

«كَفاكَ مِنْ عَقْلِكَ ما أوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِن رُشْدِكَ»[2].

٥ ـ علم الغيب:

ان علم الغيب الذي اختص به الأنبياء والأئمة المعصومون (سلام الله عليهم) يعد أحد القنوات الأخرى لمعرفة الحقيقة.

فنبي الإسلام الأكرم، وأئمة الحق، كشفوا، بعلم الغيب، الكثير من الأسرار الكامنة، وعلموا البشرية علوماً مختلفة، وحولوا كثيراً من مجهولات البشر الفكرية والعقائدية والعلمية الى معرفة صحيحة ويقين، وأوضحوا ماهية المستقبل والتفكير فيه، وتحدثوا عن الماضي بالقدر الذي ينفع في نضج الإنسان وتكامله. وفسروا القرآن، كلام الله، بما يلبي حاجات كل عصر وزمان، وشرحوا المبادىء والخطوط العامة التي يحتاج اليها الانسان مع الاجابات الشافية لكل التساؤلات بوضوح ويسر.

---

(١) الخطبة ١٨٥.

(٢) الحكمة ٤٢١.

والدور القيم الآخر الذي يؤديه علم الغيب يتمثل في تصحيح معطيات الحواس والعقل البشري، أي اننا محتاجون الى علم الغيب في استخدام قنوات معرفة الحقيقة وتوظيف الحواس والعقل، وذلك لكي نستطيع التقويم بشكل صحيح، ونفكر بصورة سليمة، ونتعرف على الحق، إذ يقول الإمام علي عليه السلام:

«أيها الناسُ، سَلُوني قَبلَ أنْ تَفقدُوني فلأنا بطُرُقِ السَّماءِ أعلَمُ منّي بطُرُقِ الأرضِ»[1].

فحين يكون الإمام العالم بالغيب وبالأسرار الكامنة في الكون، الى جانب الانسان ليأخذ بيده ويطلعه على حقائق نظام الوجود، لن يكون هناك أي انحراف أو اعوجاج فكري.

وها هم شيعة العالم اليوم يستفيدون من المصدر الهائل المتمثل في أحاديث أهل البيت عليهم السلام وهي أساس الفقه والتفقه واستنباط أحكام الله، وقد حرمت سائر المذاهب والطوائف من هذه الثروة العظيمة التي يعد «نهج البلاغة» جزءاً منها.

يقول الإمام علي عليه السلام في مواقف أئمة الحق:

«... لا يُخالِفُونَ الحَقَّ وَلا يَختَلِفُونَ فيهِ، وَهُم دَعائِمُ الإسلامِ، وَوَلائجُ الإعتِصامِ، بِهِمْ عَادَ الحَقُّ الى نِصابِهِ، وَانزاحَ الباطِلُ عَن مُقامِهِ»[2].

لقد أشار الإمام في هذه العبارات الرائعة الى عدة نقاط مهمة هي

أ ـ لما كان أئمتنا معصومين، ولا يعانون من عقبات باطنية، فانهم لا يخالفون الحق، والحق معهم وهم مع الحق أبداً.

(١) الخطبة ١٨٩. (٢) الخطبة ٢٣٩.

ب ـ لما كانوا ينظرون الى الحقائق كما هي، ويقومون بتجربتها وتقويمها بشكل صحيح بمقياس العقل والفكر، لتمتعهم بفطرة سليمة ومتكاملة وبعلم الغيب أيضاً، لذلك لا يشكّون في الحق أبداً «وَلا يَختَلِفُونَ فِيهِ».

جـ ـ وبما ان هؤلاء الأئمة معصومون ويعلمون الغيب، فهم أعمدة الاسلام الراسخة والامثال الحقة والرموز الصادقة لأمة الإسلام.

د ـ كل من اتخذ الأئمة المعصومين مقياساً وأساساً لمعرفة الحق واتبع اقوالهم وأفعالهم فقد بلغ الحق، وهنا يعود الحق الى موقعه الأصلي «بِهِم عَادَ الحَقُّ الى نِصابِهِ» ويرحل الباطل وينحسر عن المجتمع المتنوّر بنور الولاية العلوية.

٦ ـ الوحي والقرآن الكريم:

من المصادر الأخرى لمعرفة الحق والباطل. القرآن الكريم الذي يعرض المقاييس الصحيحة لمعرفة الحقائق، وهو مقياس تقاس به معلومات البشر وما يتوصلون اليه، فلو أخطأنا في التفكير وسرنا في الطرق المنحرفة، فالقرآن الكريم هو الذي يدلنا على الطريق القويم، ويهدينا، ويعلمنا سبل بلوغ الحق، ويعرض علينا الحقائق بصراحة ووضوح، وهو الأصل لمعرفة الحقائق. يقول الإمام عليه السلام بهذا الشأن:

«وَعَلَى كِتابِ اللهِ تُعرضُ الأَمثالُ»[1].

فالقرآن الكريم يرد بالايجاب المطلوب على كل حاجات الإنسان.

يقول تعالى: **﴿وَلا رطبٍ وَلا يابسٍ إلا في كتابٍ مُبينٍ﴾**.

---

(١) الخطبة ٧٥.

نحن نعلم أن المرء ليس قادراً على استنباط كل شيء من القرآن الكريم دون الاستعانة بعالم به، وبأحاديث رسول الإسلام الأكرم، وبتفسير الأئمة المعصومين عليهم السلام يقول الإمام عليه السلام:

«إنَّ الله سُبحانَهُ أَنْزَلَ كِتاباً هادِياً بَيَّنَ فِيهِ الخَيرَ والشَّرَّ فَخُذوا نَهجَ الخيرِ تَهتَدُوا»[1].

ومن الواضح أن عامة الناس عاجزون عن الاستفادة من أي كتاب علمي تخصصي دون الاستعانة بخبير من أهل ذلك العلم، لذا فقد قَرنَ رسول الإسلام الأكرم في حديث الثقلين الشهير القرآن الكريم بالأئمة المعصومين في قوله صلى الله عليه وآله:

«إني تاركٌ فيكُمُ الثَّقَلَين، كِتابَ اللهِ وَعِترَتي»[2].

وخلاصة القول: لو أن طلاب الحق والحقيقة، نظروا نظرة صحيحة الى حقائق نظام الخلق الحق ثم قاموا بتقويمها تقويماً صحيحاً في ظل الوحي وعلوم أهل البيت عليهم السلام، بالاستعانة بما منحهم الله من قوة الفكر والعقل، واستفادوا أفضل الاستفادة من سبل المعرفة وقنواتها الأخرى، وأزالوا عن طريقهم العقبات الباطنية والخارجية، لتمكنوا من معرفة الحق والحقيقة، ولم يختلفوا فيهما. ولتجنبوا الوقوع في أي خطأ أو زلل ولم تخل نتائج بحوثهم من ثمرة، ولم يضيعوا سنين طوالاً يؤيدون الفرضيات الباطلة، بل لحثوا الخطى على الطريق القويم.

---

(١) الخطبة ١٦٧.

(٢) سنن البيهقي: ٢/١٤٨.

دراسة موانع معرفة الحق والباطل:

لماذا لا يقبل الجميع بالحق؟ قلنا أن الحق والحقائق الثابتة أمور موجودة ويمكن تعرفها، فهل تكفي هذه المعرفة وحدها؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فلماذا لا يقبل الكثيرون بالحق الذي اثبتته الدلائل؟ بل يختلفون فيه ويتنازعون حوله؟

لماذا لا يرضخون للحقيقة؟ بل يدبرون عن الحق، ولا يعملون به مع معرفتهم به؟ ولماذا يبدو الحق مراً وثقيلاً عند كثير من الناس؟

أهناك نقص أو عيب في الحق حتى يقل انصاره أم ينبغي أن نتلمس اسباب ادبارهم عنه في عجز الانسان الفكري وتبعيته النفسية؟

ولسوف نلاحظ في هذا البحث أن الحق حق وهو منزه من كل الزوائد والشوائب، وان علينا ان نبحث عن النقص والضعف في الانسان نفسه وفي عجزه.

ان القانون التكاملي ومبادىء الصحة المسلّم بها لا نقص فيها، لكن الكثير يتمردون على هذا القانون ولا يراعون التعليمات الصحية.

يجب ألاّ نعزو مخالفات الانسان وتهربه من الحقيقة الى ضعف الحق وعجزه.

وإن ما نشاهده اليوم على صعيد المجتمعات البشرية من الإعلام المكثف والواسع جعل الجميع يدركون خطر الادمان على المخدرات، واضرار الكحول، واخطار الفساد الخلقي، فلماذا لا يتخلون عنها؟ فهل يصح القول بأن المفاسد الأخلاقية حق لأن الناس يقبلون عليها.

وهل يصح القول بأن التعليمات الصحية الكاملة والصحيحة باطلة لأن الناس يدبرون عنها؟

من البديهي أن أحقية الحق والباطل لا علاقة لها بميول الناس وسلوكهم.

اذ قال الإمام علي عليه السلام:

«أيها الناسُ! لاَ تَستوحِشُوا في طَرِيقِ الهُدى لقلَّةِ أَهلِهِ»[1].

أصناف أنصار الباطل:

قبل أن نعرض أسباب الجنوح الى الباطل ونقوّمها، علينا ان نعرف اولاً انصار الباطل واصنافهم وفئاتهم:

أولاً: هناك فئة تؤيد الباطل وهي لا تعلم، بل تظن أنها على صواب. فالإعلام المزيف، واختلاف الأجواء غير الحقيقية، وبث الثقافة الاستعمارية، والتعليم غير السليم، والعادات والتقاليد الاجتماعية الغلط، تصوّر بمجموعها المعتقدات الخاطئة لهذه الفئة على أنها هي الحق. وقد قال الإمام علي عليه السلام في ذم أهل الكوفة الذين كانوا يؤمنون بافكار خاطئة:

«لا تَعرِفُونَ الحَقَّ كَمَعرِفَتِكُمُ الباطِلَ، وَلا تُبطِلُونَ الباطِلَ كإبطالِكم الحَقَّ»[2].

فلو أن هذه الفئة خضعت للتعليم السليم، وتربت تربية صحيحة، واكتسبت نعمة المعرفة والوعي، لأنست بالحق ولأدبرت عن الباطل.

ثانياً: وثمة فئة أخرى تؤيد الحق، وترغب في نصرته وادراكه، وهي تبذل الجهود لادراك الحق أيضاً، لكنها في منتصف طريق البحث، تقع

---

(١) الخطبة ٢٠١.

(٢) الخطبة ٦٩.

في شراك الشيطان الخادعة واغراءات رفاق السوء، فتنجرف عن جادة الصواب، وتروح تؤيد الباطل بدل الحق، ظانة أنها قد عرفت الحق وبلغته، فيما هي تناصر الباطل المتلبس بلباس الحق، تبقى تدافع عن باطلها باسم الحق حتى إذا أصابها الهلاك في سبيل ذلك.

وقد يتنبه بعض هؤلاء فيتوبون، بينما يودع بعض آخر الدنيا وهم في جهلهم المركب هذا.

يقول الإمام علي عليه السلام في حديث له بهذا الشأن حول الخوارج وهم مصداق لهذه الفئة:

«لا تُقاتِلوا الخَوارِجَ بَعْدي، فَلَيْسَ مَن طَلَبَ الحَقَّ فَأَخطَأَهُ، كَمَن طَلَبَ الباطِلَ فَأَدرَكَهُ»[1].

فالخوارج كانو يُصلّون ويصومون ويعتقدون انهم ادركوا الحق، لكنهم كانوا يسفكون دماء الأبرياء ويقطعون الطرق ويقتلون الناس لحبهم علياً عليه السلام وهم يظنون أنهم على صواب.

ثالثاً: وهناك فئة ثالثة تبحث عن الباطل بسبب أهوائها النفسية وانحرافاتها الأخلاقية، وتبذل المساعي من أجل إدراكه. وتدركه في النهاية ولا يخطر ببالها أبداً طلب الحق مع أنها تعرفه أيضاً.

ومصداق هذه الفئة هم جنود يزيد في كربلاء. فقد رأوا أحدهم يقتلع حلية من أُذن احدى بنات الإمام الحسين عليه السلام وهو يبكي. فسألوه «**لماذا تبكي؟**» قال: «**قد رقَّ قلبي لمصائبكم**» فقالوا له: «**إذا كان الأمر كذلك فلا تسلبنا! ولا تؤذنا! ولا تنهب أموالنا!**» فأجاب: «**اننا جئنا لنعود بالغنائم الى أهلنا، فإذا لم أسلبكم أنا لسلبكم غيري**».

---

(١) الخطبة ٦١.

قال الامام علي عليه السلام واصفاً أهل الشام الذين اتبعوا الباطل:

«الذينَ يَلبِسوُنَ الحَقَّ بِالباطِلِ، وَيُطيعُونَ المَخلوقَ في مَعصيَةِ الخالِقِ، وَيَحتَلِبُونَ الدُّنيا دَرَّها بِالدِّينِ»[1].

أسباب اتباع الباطل:

يحتوي «نهج البلاغة» على بحوث كثيرة وعميقة عن اسباب إتباع الباطل والإدبار عن الحقيقة، ويتطلب شرح كل تلك المواضيع وتقويمها كتاباً مستقلاً.

لذلك نكتفي في هذا الاستعراض القصير لأسباب إتباع الباطل ببعض تلك الأسباب: مثل:

أولاً ـ حب الحياة:

بعض الناس يحبون الحياة والبقاء في الدنيا، وهذا هو الأصل عندهم، ونتيجة لذلك نراهم يرضخون للسكوت والسكون والتساوم والاستسلام، ويتجاهلون الحق مع أنهم يرونه ويعرفونه.

فالذي يرى أن البقاء هو الأصل، لا يتورع من ارتكاب صنوف الرذائل الأخلاقية والكذب، والنفاق، والفساد. لكي يطيل أمد أيامه في الحياة، لذلك لا يبقى بعد ذلك لديه معنى للثورة ضد الظلم والإجحاف، والحق عند هؤلاء ثقيل وتطبيقه مر. يقول الإمام علي عليه السلام:

«إنَّ الحَقَّ ثَقيلٌ مَرِيٌّ، وَإنَّ الباطِلَ خفيفٌ وَبيٌّ»[2].

---

(١) الرسالة ٣٣.

(٢) الحكمة ٣٧٦.

ثانياً ـ حب الذات:

ان من يحب نفسه ويبلغ به الأمر حد الإعجاب بالنفس، والعناد، وعدم الاكتراث بآراء الآخرين وأفكارهم، يدبر عن الحق لأن ذاته هي محور معتقداته. ولو أردنا جر مثل هذا الشخص الى الحق أو تطبيق حكم من أحكام الحق عليه، لوجد ذلك مراً عليه ويتعارض مع ما يتوقعه وما تقتضيه أنانيته.

إنه لفرط حبه لنفسه، لا يريد أن يصدق أنه اخطأ في القضية الفلانية وانه مدان فيها.

إذا ما أخفق في تربية ولده، فإنه يبادر الى القاء ذلك على عاتق الزمان والدهر الفاسد، ولا يعترف بتقصيره وعدم اهتمامه.

ثالثاً ـ حب التحلُّل من القيود:

يرغب بعضهم في التمتع بحرية مطلقة لا تحدها حدود ولا تحصرها قيود، وأن ينالوا كل ما يريدون، ويفعلوا كل ما يحلو لهم.

ولكن الحق والحقيقة ترافقهما بعض الحدود والقوانين التي تقيد الانسان. وتزن الحرية الفردية في إطار حرية المجتمع، لذا فهي مُرّة ولا تنسجم مع روح التحلّل، لذا نجد جماعة من الناس يدبرون عنها ويتجاوزون الحق ويهربون منه، يقول الإمام علي:

«مَنْ عَشِقَ شَيئاً أعشى بَصَرَهُ وَامرَضَ قَلبَهُ، فَهُو يَنظُرُ بِعَينٍ غَيرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسمَعُ بِإذنٍ غَيرِ سَمِيعَةٍ»[1].

---

(١) الخطبة ١٠٩.

ثم ينصحنا بالقول:

«إنَّ اللّه افتَرَضَ عَلَيكُم فَرائِضَ فَلا تُضَيِّعُوها، وَحدَّ لكم حُدُوداً فَلا تَعتَدُوها، وَنَهاكُم عَن أَشياءَ فَلا تَنتَهِكُوها»[1].

رابعاً ـ صعوبة اصلاح الذات وتربية النفس:

يرافق بناء الذات واصلاح المجتمع بعض المشاكل والصعاب، كما ان تربية الأسرة والأبناء تخلق للانسان مصاعب ومتاعب يعجز الكثير عن مواجهتها، وبعضهم يحب الراحة فلا يريد الدخول في المشاكل، وبعضهم يفتقدون ما يلزم من التواضع والصبر والتحمل أمام المشاكل والصعاب، لذلك نراهم يهربون من الحق وهم يعرفونه لأنه مر وصعب.

وفيما كتب الإمام علي عليه السلام الى مالك الأشتر قوله:

«ولا يَدعُوَنَّكَ ضيقُ أَمرٍ لَزِمَكَ فيهِ عَهدُ اللّهِ الى طَلَبِ انفِساخِهِ بِغَيرِ الحَقِّ»[2].

خامساً ـ الغرور:

حب الذات والغرور يدعوان المرء الى أن يكون هو المتحكم وأن يرى الحق الى جانبه دائماً حتى وان ارتكب خطأ.

فهو يسعى الى تسويغ اخطائه والتظاهر بأنه على حق، ولما كان قبول الإدانة لا يتلاءم مع صفة الغرور لديه لذلك فهو يبتعد عن الحق ويتجاهله.

وهو يدين الآخرين ويلعن الدهر والزمان، ويتحدث عن الحظ

(١) الحكمة ١٠٥.
(٢) الرسالة ٥٣.

والنصيب والطالع، ويسعى بالاف النعوت والمسوغات الكاذبة لإظهار كونه على الحق. يقول الإمام علي عليه السلام:

«وَاحذَر كُلَّ عَمَل يَرضاهُ صاحِبُهُ لِنَفْسِهِ ويكرهُ لِعامَّةِ المُسلِمين»[1].

سادساً ـ طغيان الغرائز النفسانية والحيوانية:

كثير من الناس يعرفون ما هو الحق وما هو الباطل، بل ويؤيدون الحق أيضاً، لكنهم بسبب طغيان غرائزهم يقبلون على الباطل ويصبح قبول الحق ثقيلاً ومراً لديهم.

والحل الرئيسي لذلك هو أن نعمل في بناء الذات وتربية النفس على الوقوف بوجه كل طغيان والسيطرة على أنفسنا وغرائزنا. يقول الإمام علي عليه السلام:

«إنَّ أَخوَفَ ما أَخافُ عَلَيكُم إثنانْ: إتِّباعُ الهَوى وَطُولُ الأمل، فَأمَا اتِّباعُ الهَوى فَيَصُدُّ عَنِ الحَقِّ»[2].

سابعاً ـ جاذبية الباطل الطبيعية وظهوره تلقائياً وخداعه:

ان الغرائز الحيوانية تظهر تلقائياً لدى الإنسان ومن الصعب تهذيبها والسيطرة عليها، لذا نرى كثيراً ممن انتهجوا نهج اللامبالاة وحب الراحة لا يرضخون لمصاعب بناء الذات، إذ إن للباطل والمفاسد والذنوب قوة جاذبة طبيعية فيها، وهي تظهر تلقائياً، فمن الصعب تربية العين لكي لا تنظر الى الحرام وهو أمرٌ مر (إلا أن ثمرته حلوه) ولكن لا صعوبة في النظرة المريبة والمحرمة ولا تخلق مشكلة. ولا

(١) الرسالة ٦٩.
(٢) الخطبة ٤٢.

صعوبة في الركض وراء الشهوات، ونهب أموال الناس، وتقاعس الموظف في العمل، وأكل الحرام.

إذا تركنا الناس وشأنهم ولم نُربِّهم على الأخلاق والإيمان فانهم ينجذبون من تلقاء أنفسهم نحو المفاسد والذنوب.

وعليه، فان السيطرة على الشهوة، واحترام اموال الناس وكرامتهم، وأداء الأعمال بميزان وبجودة، وتنفيذ القوانين بدقة، من الأمور الحسنة، ولكنها تتطلب التربية والتعليم وارسال انبياء الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام وتنزيل الكتب السماوية.

لذلك كله تجب السيطرة على النفس بالقوة والضغط، وعدم اطلاق العنان لها، وجرها بحزم نحو الفضائل، وتربية النفس، ومراعاة القانون، وبذلك تنقاد للطاعة، وتعتاد على الفضائل، فتزول الأخطار المحدقة بها.

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة
المقدمة	٥
نظرة عامة على «نهج البلاغة»	٧
معرفة «نهج البلاغة»	٧
اسم «نهج البلاغة» الجميل	٨
كيف حفظت أقوال الإمام عليه السلام ودُوّنت؟	١٠
مشاكل واجهت جمع اقوال الإمام علي عليه السلام	١٢
روائع «نهج البلاغة»	١٤
الحق والباطل في «نهج البلاغة»	١٧
تعريف الحق والباطل	١٨
ضرورة معرفة الحق والباطل	١٩
امكان معرفة الحق	٢٠
كيف نواجه الحق؟	٢٣
١ ـ ضرورة الوعي	٢٣
٢ ـ التزام الحق	٢٤
٣ ـ العمل	٢٤
٤ ـ مقارعة الباطل	٢٥
٥ ـ الانصياع للحق والحقيقة	٢٥
٦ ـ التحرك ضمن حدود الحق	٢٥

٧ ـ محاربة انصار الباطل ٢٦
٨ ـ معرفة مُثلُ الحق الكاملة ٢٦
سبل معرفة الحق والباطل ٢٧
١ ـ ضرورة السعي والعمل المستمر ٢٨
٢ ـ ضرورة الصبر والثبات وتحمل المشاكل في سبيل بلوغ الحق ٢٩
٣ ـ ضرورة البحث والتنقيب ٣٠
٤ ـ استخدام العقل وقوة التفكير ٣١
٥ ـ علم الغيب ٣١
٦ ـ الوحي والقرآن الكريم ٣٣
دراسة موانع معرفة الحق والباطل ٣٥
أصناف أنصار الباطل ٣٦
أسباب اتباع الباطل ٣٨
أولاً ـ حب الحياة ٣٨
ثانياً ـ حب الذات ٣٩
ثالثاً ـ حب التحلُّل من القيود ٣٩
رابعاً ـ صعوبة اصلاح الذات وتربية النفس ٤٠
خامساً ـ الغرور ٤٠
سادساً ـ طغيان الغرائز النفسانية والحيوانية ٤١
سابعاً ـ جاذبية الباطل الطبيعية وظهوره تلقائياً وخداعه ٤١